فريد أمين إبراهيم الهنداوي

الألوكة
www.alukah.net

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

وَقفَة

مَعَ حَدِيث «التَّبِعَات»

الدُّكتور

فريد أمين إبراهيم الهِنداويّ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعدُ:

فهذه وريقات جمعتُها في إثبات حديث «التبعات» الذي رواه «العباس ابن مِرْداس» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا الحديث ضعَّفه جمع من أهل العلم، ثم وجدت الحافظ ابن حجر العسقلاني قد كتب في هذا الحديث مؤلَّفًا لطيفًا سمَّاه «قوة الحِجَاج، في عموم مغفرة الحجَّاج»، يحسِّنُ فيه حديث «التبعات» بشواهده، وهو مسلك الإمام البيهقي في «شعب الإيمان».

فأردتُ أن أضرب بسهم في هذه المسألة التي شغلت كثيرًا من الناس، حتى أهل العلم الفضلاء، شغلتهم عن رحمة الله التي وسعتْ كلَّ شيءٍ.

روى البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**جعل الله الرحمة مئةَ جزءٍ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين، وأنزل إلى الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابةُ حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه**».

وغير ذلك من الأحاديث التي ذكرتُها في آخر الرسالة لا يقف أمامها شيء، فرحمة الله تعالى لا توزن بموازين الدنيا، وإنما توزن بموازين الآخرة، وبقدر عظمة الله تعالى تكون مغفرة الله تعالى.

فلماذا يظلُّ حديث «التبعات» - وهو صحيح بشواهده - بمنأى عن المغفرة العامة دون قيد، تارةً قيد الصغائر دون الكبائر والتبعات، وأخرى: قيد الصغائر

والكبائر دون التبعات، أليس الله قادرًا على أن يغفر للظالم ولا يبالي، ويعطي المظلوم حتى يرضى، ويتمنى لو ظلمه الناس جميعًا لما يرى من عظيم الجوائز التي حباها الله إياها جرَّاء مظلمته.

فلنعلِّق أبصارنا وقلوبنا بالله الرحيم، الغافر الغفَّار الغَفُور، ولا نقيس الأمور بمقاييس الناس، وإنما بمقاييس خالق الناس، لترى الفرق الذي لا يخطر على قلب بشر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

والآن أوان الشروع في المقصود، وعلى الله قصد السبيل.

بقلم

د. فريد أمين إبراهيم الهنداوي العِزْم

(١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: وقف رسولُ الله بعرفات، وقد كادت الشمس أن تؤوب، فقال: «**يا بلال، أنصت لي الناس**»، فقام بلال، فقال: أنصتوا لرسول الله ﷺ، فنصت الناسُ، فقال: «**معاشر الناس، أتاني جبريل آنفًا، فأقرأني من ربي السَّلام، وقال: إن الله غفر لأهل عرفاتٍ، وأهل المشعر، وضمِنَ عنهم التبعات**»، فقام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: يا رسول الله، هذا لنا خاصٌّ؟ فقال: «**هذا لكم، ولمن أتى بعدكم إلى يوم القيامة**»، فقال عمر: كَثُر خيرُ الله وطاب.

(التَّخْرِيج):

- «التمهيد» لابن عبد البر: (١/ ١٢٨).
- وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (١١٥١).

(الشَّرْح):

(تؤوب): أي: تغيب.

(أنصت لي الناس)، أي: مُرْهم بالسكوت للانتفاع.

(آنفًا)، أي: قبل قليل.

(أهل المشعَر)، أي: مزدلفة.

(التبعات): حقوق العباد، بعضهم من بعض.

(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حجَّ هذا البيت، فلم يرفُثْ، ولم يَفْسُق، رجع كما ولدته أُمُّه**».

(التَّخْرِيج):

- البخاري (١٨١٩)، مسلم (١٣٥٠).

(الشَّرْحُ):

(كما ولدته أُمُّه): قال المناوي في «فيض القدير»: (٦/ ١١٥):

«في خلوه عن الذنوب، وهو يشمل الكبائر والتبعات، وإليه ذهب القرطبي وعياض» اهـ.

❐ وقال أبو الحسن الرحماني المباركفوري في «مرعاة المفاتيح»: (٨/ ٣٠٣):

«وظاهر الحديث غفران الصغائر والكبائر والتبعات، وهو من أقوى الشواهد لحديث العباس بن مرداس الآتي، المصرح بذلك» اهـ.

(٣) عن عمر بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في الحديث الطويل .... قال رسول الله ﷺ له: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله**»....» اهـ.

(التَّخْرِيجُ):

❐ مسلم: (١٢١).

(٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**العمرة إلى العمرة كفَّارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة**».

(التَّخْرِيجُ):

❐ البخاري (١٧٧٣)، مسلم (١٣٤٩).

(الشَّرْحُ):

(المبرور): هو الذي لا يخالطه إثم، ولا معصية، مأخوذٌ من البرِّ، وهو الطاعة، وقيل: هو المقبول.

وقيل: الحج المبرور: الذي لا رياء فيه، ولا سمعةٌ، ولا رفثَ، ولا فُسوقَ،

وكانت النفقة فيه من المال الطِّيِّب، قاله ابن عبد البر في «الاستذكار»: (٤/ ١٠٤).

(ليس له جزاءٌ إلا الجنة»: ولا يدخل الجنةَ إلا نفسٌ طاهرةٌ خالية من الذنوب كبيرها وصغيرها، وخالية من المظالم وتبعات العباد، وهذا من أعظم مقاصد الحج، ولكن بشرط أن يكون حجًّا مبرورًا.

(٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ، قال: «**ما مِنْ يوم أكثر مِنْ أن يُعْتِق الله فيه عبدًا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو، ثم يُبَاهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟**».

(التَّخْرِيج):

- مسلم (١٣٤٨)، ابن ماجه (٣٠١٤)، النسائي (٣٠٠٣).

- فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يباهي بالحجاج الملائكة، ولا يباهي مَنْ له الكمال المطلق والطهر المطلق إلَّا بمطهَّر مطلق، خالٍ من الذنوب صغيرها وكبيرها، وخالٍ من التبعات والمظالم.

إذْ كيف يباهي الله الملائكة بمن هم ملوثون بالكبائر والتبعات، على قول مَنْ يقول: إن الحج لا يغفر إلا الصغائر، فيا عجبًا.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

(٦) عن مجاهدٍ، عن ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كنتُ قاعدًا مع النبيِّ ﷺ في مسجدِ مِنًى، فأتاه رجلٌ مِن الأنصارِ، ورجلٌ من ثَقِيفٍ فسلَّمَا، ثُمَّ قالا: يا رسولَ اللهِ، جِئْنا نسألُكَ، فقال: «**إنْ شئتُما أخبرتُكُمَا بما جِئْتُما تَسْألاني عنه فعلتُ، وإنْ شئتُما أَن أُمْسِكَ وتَسْأَلاني فعلتُ**»، فقالا:

أَخبرنا يا رسولَ اللهِ، فقال الثقفيُّ للأَنصاريِّ: سَلْ، فقال: أَخْبرني يا رسولَ اللهِ، قال: «**جِئْتني تسألُني عَنْ مَخْرِجِكَ مِنْ بيتِكَ تُؤمُّ البيتَ الحرامَ، وما لكَ فيه، وعَن**

ركعتَيْكَ بعد الطوافِ، وما لَكَ فيهما، وعن طوافِكَ بين الصَّفا والمروةِ، وما لك فيه، ووقوفِك عشيةَ عرفةَ، وما لك فيه، وعن رَمْيكَ الجِمَارَ، وما لكَ فيه، وعن نَحْرِك، وما لك فيه، وعن حَلْقِكَ رأسَكَ، وما لكَ فيه، وعن طوافِك بالبيتِ بعد ذلك، وما لك فيه مع الإفاضة، فقال: والذي بَعَثَكَ بالحقِ، عن هذا جئتُ أسألُكَ، قال: فإنك إذا خرجتَ من بيتك تَؤمُّ البيتَ الحرامَ لا تضعُ ناقتك خفًّا، ولا ترفعُه إلا كَتبَ اللهُ لك به حسنةً ومحا عنك خطيئةً، وأما ركعتاكَ بعد الطوافِ كعِتق رقبةٍ مِنْ بني إسماعيلَ، وأما طوافُك بالصَّفَا والمروةِ بعد ذلك كعِتق سبعينَ رقبةً، وأما وقوفُك عشيةَ عرفةَ؛ فإنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَهْبِط إلى سماءِ الدنيا فَيُباهي بكم الملائكةَ، يقول: عِبادي جاؤوني شُعْثًا مِنْ كلِّ فَجٍّ عميقٍ يَرْجُون رحمتي، فلو كانتْ ذنوبُكُم كعددِ الرملِ، أو كقَطْرِ المطرِ، أو كزَبَدِ البحرِ لغفرَها، أو لغفرتُها، أفيضوا عبادي مغفورًا لكم، ولمن شَفَعْتُم له، وأَمَّا رميُكَ الجِمارَ فلك بكلِّ حَصَاةٍ رميتَها كبيرةٌ مِن الموبقاتِ، وأما نحرُكَ فمَذْخُورٌ لك عند ربِك، وَأَمَّا حِلاقُك رأسَكَ فلك بكلِّ شعرةٍ حلقتَها حسنةٌ ويُمْحى عنك بها خطيئةٌ، وأما طوافُك بالبيتِ بعد ذلك فإنك تطُوفُ، ولا ذَنْبَ لَكَ، يأتي مَلَكٌ حتى يضعَ يديْه بين كَتِفَيْكَ، فيقولُ: اعْملُ فيما تَسْتَقْبِلُ فقد غُفِرَ لك ما مضى».

(التَّخْرِيج):

- البزار (٦١٧٧) (١٢/ ٣١٧)، الطبراني في «الأحاديث الطوال» (٦١) (١/ ٣٢٠)، وأبو محمد ابن قدامة المقدسي في «فضل يوم التروية وعرفة» (١٤- مخطوط).

- قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١١١٢) (٢/ ٥):

«رواه الطبراني في «الكبير»، والبزار واللفظ له، وقد رُوي هذا الحديث من وجوه، ولا نعلم له أحسن من هذا الطريق.

قال المملي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي طريق لا بأس بها، رواتها كلهم موثقون» اهـ.

❐ وحسَّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» في الموضع السَّابق.

(٧) عن عبد الله بن كِنانةَ بن عباس بن مِرْداس السُّلَمِيِّ، أن أباه أخبره، عن أبيه، أنَّ النبيَّ ﷺ: دعا لأُمتِهِ عشية عرفةَ بالمغفرة، فأُجيب: «**إني قد غفرتُ لهم، ما خلا المظالم، فإني آخذُ للمظلوم منه**»، قال: «**أي ربِّ؛ إنْ شئت أعطيتَ المظلوم من الجنة، وغفرتَ للظالم**»، فلم يُجَبْ عشيتَهُ، فلمَّا أصبح بالمزدلفة، أعاد الدعاء، فأُجيب إلى ما سأل، قال: فضحك رسول الله ﷺ، أو قال: تبسَّم، فقال أبو بكر وعمرُ: بأبي أنتم وأُمي؛ إنَّ هذه لساعةٌ ما كنت تضحك فيها، فما الذي أضحك؟ أضحك الله سنَّك، قال: «**إن عدوَّ الله إبليسَ لمَّا علم أنَّ الله ﷻ قد استجاب دعائي، وغفر لأُمتي أخذ التراب، فجعل يحثوه على رأسه، ويدعو بالويل والثبور، فأضحكني ما رأيتُ مَنْ جزعِهِ**» اهـ.

(التَّخْرِيج):

❐ ابن ماجه (٣٠١٣) واللفظ له، أحمد (١٦٢٠٧) من زيادات عبد الله بن أحمد على أبيه، والفاكهي في «أخبار مكة»: (٤/ ٣١٠) (٢٧٣٥)، وأبو داود: (٥٢٣٤) مختصرًا، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»: (١٣٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٩٤٨١)، و«شعب الإيمان»: (٣٤٠)، و«فضائل الأوقات»: (١٩٨)، والطبراني في «التفسير»: (٣/ ٥٣٢- هجر)، ابن عدي في «الكامل»: (٧/ ٢١٤) (١٦٠٨).

❐ قال البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٥٢٤) (٣٤٠): وهذا الحديث له شواهد كثيرة، وقد ذكرناها في كتاب «البعث»، فإن صحَّ بشواهده ففيه الحجة، وإن لم يصحَّ، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وظلم بعضهم بعضًا دون الشرك» اهـ.

قلت: قول البيهقي: «وقد ذكرناها في في كتاب «البعث»، فقد ذكر من الحديث الأول إلى الحاديث الخامس والتسعين، ما يشهد لهذا الحديث، فجزاه الله خيرًا.

❐ **قال الحافظ ابن حجر في «قوةُ الحِجَاج، في عموم مغفرة الحُجَّاج»** فقرة (٣١): «وحديث عباس بن مِرْداس يدخل في حدِّ الحَسَن على رأي الترمذي، ولا سيما بالنظر إلى مجموع الطرق، والله الموفق» اهـ.

وقال فقرة (٢٧): «بل غايته (حديث ابن مِرْداس) يكون ضعيفًا، ويعتضد بكثرة طرقه» اهـ.

❐ **وردَّ في «القول المسدَّد» (ص/ ٣٥، ٣٦)** على ابن الجوزي في ذِكْره الحديث في كتاب «الموضوعات» (٢/ ٢١٤) فقال: «وأمَّا إعلال ابن الجوزي له تبعًا لابن حبان بكنانةَ فلم يُصبْ ابن الجوزي في تقليده لابن حبان في ذلك؛ فإن ابن حبَّان تناقض كلامه فيه.... » إلخ.

❐ **وقال (ص/ ٣٧):** «ولا يلزم من كون الحديث لم يصحَّ أن يكون موضوعًا، وقد وجدت له شاهدًا قويًّا أخرجه أبو جعفر ابن جرير في «التفسير» في سورة البقرة من طريق عبد العزيز بن أبي روَّاد، عن نافع، عن ابن عمر، فساق حديثًا فيه المعنى المقصود من حديث العباس بن مرداس، وهو غفران الذنوب لمن شهد الموقف...» إلخ.

❐ **وقال: (ص/ ٣٦):** «وحديث العباس بن مرداس هذا قد أخرجه أبو داود في «السُّنن» في أواخر كتاب «الأدب» منه في باب: أضحك الله سِنَّك، وساق الحديث، ولم يذكر في الباب غيره، وسكت عليه فهو صالح عنده» اهـ.

قلتُ: وقد ذكرتُ الستة أحاديث المتقدمة شواهد لحديث العباس ابن مِرْداس، تقطع أن الحديث لا ينزل عن درجة الحسن بحال، وقد حسَّنه الحافظ كما مرَّ معنا.

وأشار البيهقيُّ بصحته بشواهده كما مرَّ.

وأقول: وحديث «العباس بن مِرْداس» مقيَّدٌ، بكون الحجِّ مبرورًا؛ وقد مضى معنى «المبرور».

ومقيدٌ أيضًا بكون الحاج لم يرفث ولم يَفْسُقْ، كما مَرَّ معنا أيضًا.

فمن بَرَّ في حجِّه، ولم يرفثْ ولم يَفْسُقْ، وراقب ربَّه، وكفَّ سمعه وبصره عن المحارم، وأنفق من طيب كسبه، فقد نال مغفرة ربِّه إن شاء الله، وشمله حديث الرسول ﷺ الذي رواه عنه العباس بن مِرْداس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والحج المبرر بمعناه الذي قدمناه بمنزلة التوبة النصوح التي تمحو الذنوب محوًا، وتحطُّ الخطايا حطًّا.

وإلا فكم من أُناس حجُّوا ولم يحجُّوا، واعتمروا وما اعتمروا، وطافوا وما طافوا، ووقفوا وما وقفوا، مجرد حركات يؤدونها، ورحلة جميلة كبقية الرحلات حول العالم، ويعودون بعدها إلى ما كانوا عليه من المعاصي، والمظالم، والموبقات، فهل يا تُرى يدخلون في بشْرى حديث العباس بن مرداس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اللهم غُفْرًا اللهم غُفْرًا.

❐ ولا يهولنَّك النظر في كلمتي «المظالم» و«التبعات»، دون النظر إلى رحمة الله تعالى التي وسعت كلَّ شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾.

- ألم تقرأ حديث الذي قتل مئة نفس ثم أدخله الله الجنة.

البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

- وحديث المرأة البغيّ كيف غفر الله لها بسقيها كلبًا كاد يقتله العطش.

البخاري (٣٤٦٧)، مسلم (٢٢٤٥).

- وحديث البطاقة.

ابن ماجه (٤٣٠٠) بسند صحيح.

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

فإن الله عمَّم فيها وأطلق، ولم يستثن شيئًا، فمن تاب وأناب وصدق الله غفر الله كل شيء بلا قيدٍ ولا يبالي.

فاللهم اشملنا بعفوك وغفرانك، واغفر لنا ما كان مِنَّا، صغائر وكبائر وتبعات، غير مصرين عليها، ولا مستهزئين بها.

والحمد لله رب العالمين.

الدكتور

فريد أمين إبراهيم الهنداوي العِزْم